اسطوانات

غرفة في المحيدثة لفادي أسكندر تألّفت صداقة وأغنيات

فادي اسكندر ووليد غلمية.

في الشتاء اخبرني اندريه جدعون عن شاب من المحيدثة يدعى فادي اسكندر. قال انه عاد من مصر حيث عاش مع والديه واخوته وقرر البقاء في الوطن الام. وانه استعاد البيت القديم في القرية ورد اليه الحياة. وانه مهندس زراعي ومهووس بالغناء «صوته مخمل يشحب الى حد الخيط ويرتج كالجرس». وانه يبحث عن كلمات وموسيقى.

في مصر كان مصنفاً درجة اولى في الاذاعة ولم يغن كما يحب وكما يحلم. ورافقت اندريه لزيارة فادي في مطلع الربيع. كان ينهي غرفة من غرف البيت اللبناني القديم، جعلها خاصة بالموسيقى.

لم نكن على موعد الا اننا شعرنا كأن المعرفة سابقة. ولا اعرف كيف كرت اللقاءات وكيف نما الشعور بالصداقة حتى الاغاني التي كتبتها لفادي اسكندر ولحنها وليد غلمية وسجلت منها اربع، أكاد انساها. كل شيء حصل سريعاً. سهرات طويلة حتى الفجر. كتابة واعادة كتابة كل اغنية عشرات. قراءات وتسجيل ومناقشات واندريه جدعون وفادي اسكندر كأنهما متمترسان في جهتين متقابلتين ويطلقان النار علي. يريدان الاوفر من المحاولات. وبما انني لم اكتب اغنية من قبل كنت اجهل تماماً مدى توافق ما اكتبه مع ضرورات التلحين، وكنت الح على الصديقين ان نعرض ما معنا على اي عارف بالامور. والشخص الوحيد الذي كان من رأيي زوجة فادي، ناديا. ربما عن اقتناع وربما لاننا كنا نطيل السهرات في الغرفة المجاورة ونزعج نومها!

المهم، ذات مساء جاء وليد غلميه وجلس على الكرسي وسط زوجي الستيريو وكبس فادي اسكندر زراً صغيراً في الالة. كانت الاغنية واحدة مسجلة ثلاث ورباع وفي قراءات مختلفة كما احتوى الشريط على تسجيل كامل للمناقشات. واستمع وليد غلميه في هدوء واصغاء شديدين مما جعلني اتهيب واشعر بحرج. اخيراً وفي بساطة ومباشرة طلب الملحن قراءة الكلمات بنفسه امام الميكروفون.

«علمتني انشودة الفجر
وكنت تائها في سفري
فوهبتها عمري
لكن بنات الفجر
يزرعن في العمر ليلة
تبقى طوال العمر ليلة».

لاول مرة في الاغنية العربية، قال وليد غلمية، توضع مقدمة «نثرية» لاغنية. ويلعب تسكين الحروف في بقية الاغنية دوراً صعب التأدية على صعيد التلحين:

«ليلنا سفينة
وحبنا حريق
وحبنا مطر
وحبنا طريق
اوتارنا ايدينا
لقاؤنا قدر
تبكين تضحكين
وفمك حنين
في اول السفر»

هذا مقطع من «انشودة الفجر» وهي المحاولة الاولى. وضع لها وليد غلمية موسيقى

زرياب رحباني

هازجة، سريعة، تفوح منها رائحة الفجر. ولكن قبل ان نسمع الموسيقى، كان لنا شبه اعتراض على اللحن كما اسمعنا اياه وليد غلمية على البيانو. احسسناه رتيباً يكرج سريعاً دون ان يترك للكلمات مجال التنفس وترددنا طويلا قبل ان نفاجىء وليد غلمية ذات يوم في منزله ـ اندريه وفادي وانا ـ كان معنا كلام كثير حول ضرورة تعديل اللحن الا ان الملحن اخذنا مجدداً الى البيانو وكرر ثم قال: «عندما لحنت هذه الاغنية تخيلت متشرداً اكل الدهر عليه وشرب وهو سكران وفي زاوية فمه سيكارة تحترق يتكىء الى زاوية جدار ما قرب المرفأ، خارجاً من مغامرة كاوية... يغني». الفكرة ردتنا الى الصمت. وعندما سمعنا الموسيقى بدا لنا جميعاً ان «انشودة الفجر» تحمل اكبر حظ في الرواج لما في لحنها من بساطة وشاعرية توافق الاذن العامة.

«انا من هنا» عنوان الاغنية التي ستحمل اسم الاسطوانة. كتبتها تحت تأثير رغبة فادي اسكندر في تأكيد هويته. كان في محاولاتها التعبير عما يحب ان يغنيه يصرخ احيانا: «يا اخي. انا من هون. هيدي الارض انا. هيدا التراب انا. هيدي جذوري. افهمني!». في اليوم التالي جئت ومعي مطلع الاغنية:

«انا من هنا
وهذه بلادي
انا من هنا
واني انادي
لتسمع السماء»

وليد غلمية كتب ١٧ صفحة نوطة «انا من هنا».

وفي اشراف المهندس نبيل ممتاز في استوديو بوليساوند وقف الملحن يدير الاوركسترا. القطعة صعبة وجديدة كلياً، والجالس خلف الزجاج مراقباً ما يجري بين وليد غلمية وافراد الفرقة الموسيقية تلفحه حرارة العمل. فالرجل الواقف على منصة القيادة في يده قضيب دقيق وفي زناره منديل مبلل بعرقه يشبه راقصاً مسجوناً في غرفة ضيقة. يرقص دقيقة وفجأة يتوقف في عنف صارخاً «ستوب». ملاحظات. ملاحظات. ملاحظات. وفادي اسكندر يتلوى خلف الزجاج في غرفة العمليات. يحاول ان يجلس. ان يدخن سيكارة في هدوء. ان يشرب القهوة على رواق. الا ان حالة الديك المذبوح تنتابه مرة بعد مرة. «لماذا لا تهدأ يا فادي؟». الالحان فتحت في نفسه شهوة الغناء فكان حيناً ينتشي بالحلم وحيناً يتحرق بالرغبة. وكان مفروضاً ان ينهي وليد غلمية تسجيل الاغاني الاربع ضمن فترة بعد الظهر، لكنه سجل اغنيتين فقط. وقال «لولا فحولة الموسيقيين لربما تعذر تسجيل اغنية واحدة. الان ادركت معنى ان تأتي بجديد على حين غرة» وفسر وليد غلمية ان الصعوبة هي مزج اللحن الايقاعي (الميلودي) والمنحى السمفوني خصوصاً في «انا من هنا» حيث على الموسيقى ان تؤدي المضمون الدرامي دون التخلي عن الايقاع.

«هل يرجع الربيع
يا ارض بلادي
وتزهر الجراح
وتشهق في الوادي
غزالة الصباح».

مطلع الاغنية الثالثة وعنوانها «هل يرجع الربيع».

جاء لحنها شديد البساطة والشفافية حتى بدت كتلك الاغاني اذا سمعتها لاول مرة خالجك ظن سماعها من قبل، من زمان.

«اعطني يديك
عيناك نجمتان
والليل في عينيك
والحب والزمان
اعطني يديك
يداك موجتان
والعمر في يديك
حكاية تطول»

هذا بعض الاغنية الرابعة وعنوانها «زهرة الجبال».

ولحنها يشبه عطراً على فراش أبيض. فاذا استطاع فادي اسكندر ان يخرج من غرفته في المحيدثة حيث يحبس نفسه مع الحانه الجديدة ويتمرن دون انقطاع، ستسمعون هذه الاغاني في الصيف، ان شاء الله.

جاد الحاج

فادي اسكندر

في الأغنية الجديدة :

ليلنا سفينة
بحارنا العيون
شراعنا الجنون
صاحبنا القدر

لا شك في ان الاغنية العربية الحديثة تعاني من فقر دم فاضح · وهذا الواقع المؤلم يتفاقم يوما بعد يوم · الاذاعات العربية تجتر عددا لا يحصى من الكليشيهات واصبح المستمعون يخلطون العيون الكحيلة والاقمار والنجوم والليالي والهجر وما الى ذلك من موضوعات قشورية ما عادت تخلق في النفس هزة الاغنية ، اي ما يجب ان تحركه الكلمة المترافقة مع الموسيقى في القلب البشري · بالطبع يجب استثناء الاخوين رحباني وفيروز وقلة قليلة من المحافظين على مستوى فني في لبنان · الا ان «الاغنية العربية الجديدة» ، بكل ما في الكلمة والموسيقى من معان وابعاد وتطلعات تعبيرية ، هذه الاغنية ذات الزاوية القومية والمحتوى الانساني الشامل لم تولد بعد ··· ومع ذلك ففي هذا الاتجاه هناك محاولة رصينة وعلى قدر كبير من الجدية والاحتراف يرعاها وليد غلمية الذي عرف عنه كونه لا يتوقف ولا يحب ان يتوقف عن دفع المواهب الجديدة · في هذه المحاولة فنان شاب تعرفه الاوساط الموسيقية في مصر ، ولا سيما في الاسكندرية ، وهو من اصل لبناني ومن قرية المحيدثة ويدعى فادي اسكندر (٣٣ سنة) ·

عاد فادي من مصر منذ سنتين الى منزل والديه في المحيدثة ومعه الى جانب بعض الاغاني الخفيفة حمى البحث عن تجربة «جديدة بالمرة» كما يقول · لم يكن يعرف احدا سوى المرحوم الموسيقار فريد الاطرش الذي اراد ان يرعى انطلاقة فادي اسكندر لايمانه بموهبته غير ان يد المنون خطفت الحياة من القلب الحساس · وبقي الفنان الشاب وحيدا في حزنه وقلقه وتغتيشه ، مما زاده اصرارا على تنفيذ رغبته مهما كلفه الامر · على الصعيد الشخصي فادي اسكندر مهندس زراعي · وعمه الدكتور ميشال اسكندر ، طبيب التوليد المعروف ، شاء له منذ البداية ، حسب التقاليد ، ان يعمل ضمن مهنة الهندسة الزراعية · وفادي ، حيال هذا النوع القاسي من التحدي ، ازدادت في نفسه رغبة ممارسة فنه علّه يبرهن لعمه وللمجتمع، مرة اخرى ، كيف يمكن ان يعيش الانسان بغير الخبز وحسب · معه مال قليل والى جانبه زوجته ناديا وعدد محدود جدا من المعارف والاصدقاء فالى اين يذهب ؟ قام بزيارات عدة للاخوين رحباني فأبدى الرحابنة اعجابا بالصوت والموهبة الا ان ظروفهم المعروفة حالت دون استمرار فادي في متابعة جهوده في هذا الاتجاه · وبقي مدة طويلة بعيدا عن التقاط اشارة ايجابية من اي مكان ، نظرا الى الظروف الضيقة التي يعاني منها واقع الاغنية عموما في لبنان والبلدان العربية ·

اخيرا بقي معه شيء من المال جعله في اقصى حالات القلق ··· فقرر ان يقرر · ووضع «صولده» بين يدي وليد غلمية · والزميل جاد الحاج كتب له اربع مقطوعات شعرية كما وجهه المخرج اندريه جدعون لناحية التمارين الصوتية الدرامية · وافادته استاذة التشكيل الصوتي الين عون · والموسيقي توفيق سكر اعطاه دروسا في السولفيج ·

الاسبوع الماضي رافقت «الاسبوع

العربي» تسجيل موسيقى الاغاني في ستوديو «بوليساوند» بادارة المهندس نبيل ممتاز · وخلال التسجيل كان فادي اسكندر في غرفة العمليات يكاد يفقد اعصابه توترا ممزوجا بالغبطة وبالرغبة في الغناء على الفور · وخلف الزجاج كان وليد غلمية يتصبب عرقا في قيادة محمومة للاوركسترا التي اندفع افرادها في حماس بالغ ، علما بأن هؤلاء «الشيوخ في الموسيقى» قلما يحركهم عمل عادي · ومن وفرة استنفادهم للوقت والطاقة كانوا في التسجيلات العادية يبدون وظائفيين الى اقصى حد · عازف البيانو احسان المنذر قال في فترة الاستراحة : «هذه الاغاني هي موسيقى المستقبل» ·

والمهندس نبيل ممتاز ، الذي كان يكرج على كرسي العمل المتحرك بين طاولة «الريجي» وهيكل التسجيلات ، رغم هدوئه الرصين اقفل باب غرفة الضيوف اثناء الاستراحة وانطلق يتحدث الى فادي اسكندر بقوله : «الان لم يبق الا صوتك · فالموسيقى رائعة ويلزمها صوت قوي وحار كالذي في حنجرتك » · وبما ان العبارة حملت ، الى حد ما ، لهجة التحذير ، انفعل فادي وطلب بدوره الى نبيل الانصباب «الجامد» على اتقان التسجيلات «غدا عندما سأغني» ·

ولكن ماذا سيغني فادي اسكندر ؟ الكلمات بسيطة والمواضيع انسانية وعاطفية والاسلوب جديد ، والموسيقى اضفت على البساطة جو الابداع الفني الرفيع ، فجاءت كل اغنية سمفونية صغيرة في حد ذاتها ·

من الاغنية الاولى وعنوانها «انا من هنا» هذه الابيات : «رجعت في الشتاء ـ مشيت في المطر ـ وقلت للهواء ـ يا زمن السفر ـ ها انني اعود ـ الى بيتنا ـ اين بيتنا ـ انا من هنا» · ومن الاغنية الثانية «زهرة الجبال» هذا المقطع : «اعطني يديك ـ يداك موجتان ـ والعمر في يديك ـ حكاية تطول» · وفي الاغنية الثالثة حكاية غجرية هوجاء عنوانها «انشودة الغجر» ، لها مقدمة نثرية وايقاع سريع نسبيا : «ليلنا سفينة ـ بحارنا العيون ـ شراعنا الجنون ـ صاحبنا القدر» · واخيرا الاغنية الرابعة : «هل يرجع الربيع» : «يا ارض بلادي ـ وتزهر الجراح ـ وتشهق في الوادي ـ غزالة الصباح» ·

خلال الشهر المقبل ينتظر ان تبدأ المغامرة بالنسبة الى فادي اسكندر حين سيستمع الجمهور الى اغانيه «الجديدة بالمرة» · اما هو فلا يستطيع في الفترة الحالية ـ قبيل التسجيل ـ ان يشارك في التفاؤل الذي يعبر عنه جميع من استمعوا الى الموسيقى والالحان · ربما لان الفنان يخاف دائما من البوح بتفاؤله · وربما ايضا لانه يخاف وحسب ·

•